

خطبة جمعة

الخطر العظيم

للشيخ صالح بن عبد الله العصيمي

حفظه الله تعالى

٢٠ / ربيع الأول / ١٤٣٣

النسخة الإلكترونية (٢)

الشيخُ لم يراجع التفريغ

بالتنسيق مع موقع: <http://www.j-eman.com>

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[الخطبة الأولى]

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ حَمْدًا يُبَلِّغُنَا رِضَاهُ، نَحْمَدُهُ سُبْحَانَهُ عَلَى جَمِيلِ مَا أَوْلَاهُ، وَجَلِيلِ مَا أَبْدَاهُ، وَأَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي

نَسَّأَ لُؤْنَ بِهِ وَأَلَزَّحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [٧٠] يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ

وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [٧١] [الأحزاب].

أَمَّا بَعْدُ..

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ.

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ: إِنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَّا يَخْذُرُ الْأَخْطَارَ الَّتِي تَطِيفُ بِهِ، وَيَدَّرِعُ بِالْخُصُوفِ الَّتِي تَقِيهِ شُرُورَهَا، وَرُبَّمَا غَفَلَ أَحَدُنَا عَنْ أخطارٍ عَظِيمَةٍ وَشُرُورٍ كَبِيرَةٍ؛ إِذَا نَزَلَتْ بِالْعَبْدِ أَفْسَدَتْ عَلَيْهِ دُنْيَاهُ وَأُخْرَاهُ.

فَكَمْ مِنْ خَطَرٍ يُمَكِّنُ تَدَارُكُ أَثَرِهِ، وَدَفْعُ وَخِيمِ عَاقِبَتِهِ، إِلَّا أَنْ مِنَ الْأَخْطَارِ خَطَرًا إِذَا نَزَلَ بِالْعَبْدِ أَفْسَدَ عَلَيْهِ عَمَلَهُ كُلَّهُ، وَأَوْرَثَهُ خَسَارَةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، لَهُ خُطْبٌ جَلِيلٌ وَكَرْبٌ عَظِيمٌ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ، إِنَّهُ

خَطَرُ الشِّرْكِ بِاللَّهِ ﷻ، فَقَدْ قَالَ اللَّهُ ﷻ مُبَيِّنًا شَرَّهُ وَضَرَرَهُ: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [١٣] [لقمان].

فَأَعْظَمُ الظُّلْمِ الَّذِي يُوقِعُهُ الْعَبْدُ، هُوَ أَنْ يَكُونَ مُشْرِكًا بِاللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

وَكَيفَ لَا يَكُونُ كَذَلِكَ وَهُوَ قَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء].

وَكَيفَ لَا يَكُونُ كَذَلِكَ وَهُوَ يُحْرِمُ بِذَلِكَ الْجَنَّةَ، وَيُخَلِّدُ فِي النَّارِ، وَلَا يَجِدُ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [٧٢] [المائدة].

وَكَيفَ لَا يَكُونُ كَذَلِكَ وَهُوَ إِذَا سَرَى إِلَى الْعَبْدِ أَحْبَطَ عَمَلَهُ كُلَّهُ، أَيَّا كَانَتْ رُتْبَتُهُ وَمَنْزِلَتُهُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [٦٥] [الزمر].

وَكَيفَ لَا يَكُونُ كَذَلِكَ وَهُوَ أَكْبَرُ الْكِبَائِرِ الَّتِي يُعَصِي اللَّهُ ﷻ بِهَا، فَفِي «الصَّحِيحَيْنِ» مِنْ حَدِيثِ سَعِيدِ الْجُرَيْرِيِّ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ، عَنْ أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «أَلَا أُنبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكِبَائِرِ:

الشِّرْكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ - أَوْ قَوْلُ الزُّورِ - ، فَعَدَّةُ النَّبِيِّ ﷺ أَكْبَرُ الْكَبَائِرِ الَّتِي يُعَصِّيُ اللَّهُ بِهَا.

وَكَيفَ لَا يَكُونُ كَذَلِكَ وَكُلُّ ذَنْبٍ عَلَى رَجَاءٍ مَغْفِرَةٍ إِلَّا ذَنْبُ الشِّرْكِ بِاللَّهِ ﷻ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨، ١١٦].

أَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَلِيِّ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ فَاسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

[الخطبة الثانية]

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمَحْمُودِ حَقًّا، الْمَعْبُودِ صِدْقًا، أَحْمَدُهُ سُبْحَانَهُ حَمْدًا حَمْدًا، وَأَشْكُرُهُ جَلَّ تَوَالِيَا وَتَتَرَى، وَأَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، حُجَّتُهُ عَلَى الْخَلْقِ أَجْمَعِينَ، وَرَحْمَتُهُ الْمُهْدَاةُ إِلَى الْعَالَمِينَ، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ. اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ. أَمَّا بَعْدُ..

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ.. إِنَّ الْخَطَرَ الْأَكْبَرَ الَّذِي يُهْدِدُ أَحَدَنَا هُوَ أَنْ يَقَعَ فِي الشِّرْكِ؛ لِعَظِيمِ أَثَرِهِ وَوَحِيمِ عَاقِبَتِهِ الَّتِي تَوُولُ بِهِ إِلَى شَرِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ إِذَا ذُكِرَ بِهَذَا الْخَطَرِ ظَنَّ أَنَّهُ بِمَا مَنِ عَنْهُ، وَأَنَّهُ بِمَعَزِلٍ عَنْهُ يَقِيهِ، وَكَيْفَ يَكُونُ الْأَمْرُ كَذَلِكَ وَالْأَنْبِيَاءُ الْأَنْبِيَاءُ الْأَخْلَاءُ لِلَّهِ ﷻ يَخَافُونَهُ عَلَى أَنْفُسِهِمْ؟

فَهَذَا إِبْرَاهِيمُ الْخَلِيلُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، الَّذِي كَسَرَ الْأَصْنَامَ بِيَدِهِ، كَانَ مِنْ دُعَائِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَوْلُهُ: ﴿وَأَجِبْنِي وَبِقِي أَنْ تَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ [٣٥] [إبراهيم]، فَكَانَ يَتَخَوَّفُ عَلَى نَفْسِهِ مَعَ كَمَالِ تَحْقِيقِهِ التَّوْحِيدَ، وَتَمَامَ قِيَامِهِ بِهِ أَنْ يَقَعَ فِيهِ، فَدَعَا رَبَّهُ ﷻ أَنْ يَقِيَهُ الشِّرْكَ، وَأَنْ يُجَنِّبَهُ بَيْنَهُ مِنْ بَعْدِهِ، وَمَا يَكُونُ الْأَمْرُ كَذَلِكَ إِلَّا فِي عَقْلِ مَنْ أَدْرَكَ شِدَّةَ خَطَرِهِ، وَعَظِيمَ ضَرَرِهِ، وَإِذَا كَانَ هَذَا حَالُ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؛ فَمَا الْحَقِيقُ بِـ[مَنْ] بَعْدَهُ، قَالَ إِبْرَاهِيمُ التَّيْمِيُّ عِنْدَ هَذِهِ الْآيَةِ - فِيمَا رَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ وَغَيْرُهُ -: «مَنْ يَأْمَنُ الْبَلَاءَ بَعْدَكَ يَا إِبْرَاهِيمُ؟»، أَيُّ أَيِّ عَبْدٍ يَكُونُ بِمَا مَنِ عَنْ بَلَاءِ الشِّرْكِ أَنْ يَقَعَ فِيهِ.

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرُدُ ذَهْنَهُ وَيَسْرَحُ خَاطِرَهُ فِي شِرْكِ الْأَصْنَامِ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ الْأَوَّلُونَ، وَيَظُنُّ أَنَّ النَّاسَ فِي هَذِهِ الْقُرُونِ لَا يَقَعُونَ فِي مِثْلِ ذَلِكَ، وَلَوْ صُدِّقَ مِثْلُ هَذَا الْخَاطِرِ؛ فَإِنَّ أَنْوَاعَ الشِّرْكِ لَا تَنْحَصِرُ فِي عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ، بَلْ جَمَاعُ الشِّرْكِ كُلُّهُ: جَعَلَ شَيْءٍ مِنْ حَقِّ اللَّهِ ﷻ لِعَیْرِهِ، فَإِذَا جَعَلَ شَيْئًا مِنْ حَقِّ اللَّهِ ﷻ الَّذِي لَا يَكُونُ إِلَّا لَهُ؛ لِأَحَدٍ غَيْرِهِ كَائِنًا مَنْ كَانَ، وَلَوْ كَانَ مَلَكًا مُقَرَّبًا أَوْ نَبِيًّا مُرْسَلًا؛ فَإِنَّ الْعَبْدَ يَقَعُ فِي الشِّرْكِ، وَإِذَا نَظَرَ أَحَدُنَا إِلَى نَفْسِهِ فِي خَوَاطِرِهِ الَّتِي تَتَابَعَتْ قَلْبَهُ؛ رَبُّهَا وَجَدَ فِيهَا أَثَارَةً مِنْ آثَارِهِ، فَفِي «مُسْتَدْرِكِ الْحَاكِمِ» مِنْ حَدِيثِ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ ﷺ قَالَ: «كُنَّا نَعُدُّ الرِّيَاءَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الشِّرْكَ الْأَصْغَرَ»، وَانْظُرُوا إِلَى

أَحْوَالِنَا، وَكُلُّ أَحَدٍ مُطَّلِعٌ عَلَى قَلْبِهِ؛ مَا يَكُونُ مِنْ نِيَّةٍ قَلْبِهِ فِي عَمَلِهِ، وَرُبَّمَا كَانَ يَوْمًا يَفْرَحُ بِإِظْهَارِ عَمَلِهِ لِيَرَاهُ النَّاسُ فَيَحْمَدُوهُ عَلَى تِلْكَ الْأَعْمَالِ، وَهَذَا مِنْ جِنْسِ الرِّيَاءِ الَّذِي هُوَ مِنَ الشَّرِّكَ الْأَصْغَرِ.

فَلَا يَزَالُ الْعَبْدُ مُفْتَقِرًا إِلَى كَمَالِ الْمُبَاهَدَةِ فِي تَحْقِيقِ تَوْحِيدِهِ وَالتَّحَرُّزِ مِنَ الشَّرِّكَ؛ أَشَدَّ مِنْ تَحَرُّزِهِ مِنْ نَجَاسَةِ الْبَوْلِ وَالْغَائِطِ؛ فَإِنَّ النَّجَاسَاتِ الظَّاهِرَةَ يُمَكِّنُ دَفْعُهَا بَعْدَ وَقُوعِهَا، وَلَكِنَّ الشَّرِّكَ إِذَا اسْتَحْكَمَ فِي الْقَلْبِ فَإِنَّ قَلْعَهُ مِنْهُ عَسِيرٌ.

فَاتَّقُوا اللَّهَ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ فِي تَوْحِيدِكُمْ، وَاحْذَرُوا مِنَ الشَّرِّكَ أَنْ يَتَتَابَ أَعْمَالَكُمْ، وَاحْرِصُوا عَلَى التَّحَرُّزِ مِنْهُ بِمَعْرِفَةِ أَحْكَامِ التَّوْحِيدِ وَمَسَائِلِهِ، وَالتَّوَقُّيْ مِنْ وَيْلَاتِ الشَّرِّكَ بِمَعْرِفَةِ مَظَاهِيرِهِ وَمَشَاهِدِهِ الَّتِي تَكْثُرُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ، كَمَا أَخْبَرَ بِذَلِكَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ عليه السلام.

اللَّهُمَّ أَحِينَا عَلَى التَّوْحِيدِ، وَأَمِتْنَا عَلَى التَّوْحِيدِ، وَاحْشُرْنَا جَمِيعًا فِي حِزْبِ التَّوْحِيدِ.

اللَّهُمَّ أَحِينَا عَلَى خَيْرِ حَالٍ، وَأَمِتْنَا عَلَى خَيْرِ حَالٍ، وَاقْلُبْنَا جَمِيعًا إِلَى خَيْرِ الْمَالِ.

اللَّهُمَّ أَحِينَا حَيَاةً سَعِيدَةً، وَتَوَفَّنَا وَفَاةً حَمِيدَةً.

اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا تَحُولُ بِهِ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعْصِيَتِكَ، وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا تُبَلِّغُنَا بِهِ جَنَّتِكَ، وَمَنْ الْيَقِينِ مَا تُهَوِّنُ بِهِ عَلَيْنَا مَصَائِبَ الدُّنْيَا،

اللَّهُمَّ مَتِّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا، وَأَبْصَارِنَا، وَقُوَّتِنَا، أَبَدًا مَا أَحْيَيْتَنَا، وَاجْعَلْهُ الْوَارِثَ مِنَّا،

اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا، وَلَا مَبْلَغَ عِلْمِنَا،

اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ فِتْنَتَنَا فِي دِينِنَا، وَلَا تُسَلِّطْ عَلَيْنَا مَنْ لَا يَخَافُكَ فِينَا وَلَا يَرْحَمُنَا،

اللَّهُمَّ آتِ نُفُوسَنَا تَقْوَاهَا، وَزَكَّاهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا،

اللَّهُمَّ فَرِّجْ كُرْبَ الْمُكْرُوبِينَ، وَنَفْسَ هُمُومِ الْمُهْمُومِينَ، وَاقْضِ الدَّيْنَ عَنِ الْمَدِينِينَ، وَأَطْلِقْ أَسْرَى

الْمُسْلِمِينَ، وَاشْفِ مَرَضَنَا وَمَرَضَانَا وَمَرَضَى الْمُسْلِمِينَ،

اللَّهُمَّ آمِنْ الْمُسْلِمِينَ فِي دُورِهِمْ، وَأَصْلِحْ أئِمَّتَهُمْ وَوُلَاةَ أُمُورِهِمْ،

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ ابْنَ الصَّلَاةِ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥] .